ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 09، العدد 01 (خ)، 2022

مرتكزات حوار الأديان عند روجيه غارودي

The foundations of interreligious dialogue in Roger Garaudy

صايمي فاطمة زهرة saimifatima* saimifatima82@gmail.com	الفلسفة	جامعة وهران -2- محمد بن أحمد- الجزائر
بلحمام نجاة belhamamenadjette belhamamenadjette@yahoo.com	الفلسفة	جامعة وهران -2- محمد بن أحمد- الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2021/09/01 | تاريخ القبول: 2022/03/18 | تاريخ النشر: 2022/05/05

ملخص: لا شكّ أنّنا في هذا العصر المليئ بالصّراعات الأيديولوجيّة والخلافات المتزايدة يوما بعد يوم، بات العالم في حاجة إلى ثقافة الحوار كوسيلة مثلى لمد جسور التّواصل بين الأديان وأصحاب الأديان ليتم الالتقاء والتّفاهم على أسس الاحترام المتبادل، وبالتّالي فنجاح هذا الحوار وتحقيق التّفاهم بين أطراف الحوار هو وجود الاختلافات والتّباينات في نفس الوقت الخروج من الرّؤى والقراءات النّمطيّة الّتي تختزل الآخر في قوالب محدّدة وجاهزة. وفي أي مجتمع متعدّد الأديان والمذاهب، تصبح الحاجة إلى الحوار الصّحيح ركنا من أركان وحدته واستقراره، فالحوار لا يكون إلاّ مع الآخر، والآخر لا يكون إلاّ مختلفا، وإلاّ تنتفي الحاجة إلى محاورته، لذلك فإنّ الرّكيزة الأولى للحوار"الاعتراف بحتميّة وجود الاختلاف بمعنى التّنوّع في الحياة الإنسانيّة، الأمر الّذي يترتّب عليه مبدأ الاعتراف بوجود الآخر وأحقّيته بالوجود.وبناء على ما سبق تأتي هذه الدّراسة للحديث عن المرتكزات الفكريّة لحوار الأديان عند غارودي، وهو أحد المهتمّين بالحوار، إذ خصّص جزءا من جهده لبلورة فكرة القبول باللآخر لدى الأطراف المتحاورة.

الكلمات المفتاحيّة: الحوار؛ حوار الأديان؛ الاختلاف؛ الحضارة.

Abstract : There is no doubt that we are in this era full of ideological conflicts and increasing differences day by day, the world is in need of a culture of dialogue as an ideal means to build bridges of communication between religions and people of religions in order to meet and understand on the basis of mutual respect. Differences and differences at the same time get out of the stereotypical visions and readings that reduce the other into specific and ready-made moulds, no need to talk to him, therefore, the first pillar of dialogue is recognizing the inevitability of difference in the sense of diversity in human life, which leads to the principle

* المؤلف المرسل: saimifatima82@gmail.com

of recognizing the existence of the other and his right to exist. He devoted a large part of his effort to crystallizing the idea of acceptance of the other by the interlocutors.

Keywords :Dialogue ; Religion of dialogue ; Différence ; civilisation.

مقدمة:

إنّ اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم سنة قدرها وقضاها رب العالمين، لحكمة عظيمة وغاية جليلة وهي الابتلاء والاختبار يقول تعالى : "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ "[1]، والمراد بالاختلاف هنا: الاختلاف في الدين، وليس في الألوان والأذواق واللغات ونحوها.

ويعدّ الدّين رابطة اجتماعيّة بين النّاس، تحقّق التّعاون والتّشارك بينهم، وتنظّم بذلك سلوكهم، لأنّه يتضمّن العقائد الّتي توصل إليها المجتمع في أصل الإنسان وجوهره، وفي مصدر الكون والطّبيعة، وفي منال الحقيقة وسبل بلوغها، وقد عرفت البشريّة في تاريخها ديانات مختلفة، وضعيّة كالبوذيّة، والكونفوشيّة، والزّردشتيّة، وغيرها، كما عرفت ديانات سماويّة، وتمثّل اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام الدّيانات السّماويّة الكبرى، وهي الّتي تهمّنا في هذا العصر من البحث، حيث يدعو غارودي إلى حوار بين هذه الدّيانات الثلاثة، باعتبارها امتداد للعقيدة الإبراهيميّة.

إنّ إيمان غارودي وقناعته بالحوار بين الأديان قاده إلى العقيدة الإبراهيميّة كأساس، إنّ هذا الحوار لا يمكن أن يتحقّق إلاّ في إطار البحث عن ما هو مشترك بين الأديان.

وقد قادته تأمّلاته، وتجاربه الخاصّة، وقراءته لمختلف الدّيانات إلى تعميق الوعي لديه بأهمّية الإيمان، وقدرة الدّين على حل أزمة الغرب، وتحقيق الوحدة الإنسانية.

ممّا يجعلنا نتساءل: لماذا يعتبر الاهتمام بالدّين اليوم كفاعل في العلاقات الحضاريّة؟وهل يمكن أن تتعايش هذه الدّيانات في ظل الفوارق والخصوصيات القائمة بينها؟ وماهي مرتكزات الحوار عند غارودي؟ إلى أي مدى يمكن أن يكون للحوار الدّيني أهمّية في تشكيل الوعي الحضاري ؟و ما هو الدّين الّذي تكلّم عنه غارودي ودعا إليه والّذي يساهم في حل مشكلات الإنسان في أي عصر كان، ويوجّهه نحو بناء مستقبل ذو بعد إنساني؟

أهداف البحث: تسعى الدّراسة الحاليّة لتحقيق الأهداف الآتيّة:

[1] سورة هود، الآية: 118.

- إبراز قيمة الحوار باعتباره أرقى الأساليب الدّعويّة.
- إبراز التّطبيقات المعاصرة لحوار الأديان.
- الإسهام العلمي في إثراء المكتبة العربيّة بموضوع حوار الأديان.

منهج البحث:

ولحل الإشكاليّة الّتي سبق طرحها، اتّبعت المنهج التّحليلي لعرض الأفكار وشرحها، فهذه الدّراسة فرضت عليّ إتباع المنهج الوصفي التّحليلي الّذي يعتمد على الوصف والتّحليل والاستنباط، نظرا لملائمته أغراض هذه الدّراسة، باعتباره منهجا يقوم على أساس رصد ظاهرة حوار الأديان بهدف فهم مضمونها واستخراج خصائصها ووصف طبيعتها ونوعيّة العلاقة بين متغيّراتها وأسبابها واتّجاهاتها. كما انتهجت المنهج النّقدي باعتباره منهج تقويم وتصحيح وتصويب، عمليّة لازمة للبحث العلمي، لذلك رافقني في كل مقام ألتمس فيه موقفا مخالفا أراه أقرب إلى الصّواب من الآراء والمواقف الواردة فيه، وقد تجلّى بوضوح في معيقات الحوار.

أهمّية البحث:

تكمن أهمّية البحث في مشروع غارودي نظرا للصّدى الّذي حقّقه في أوساط المفكّرين، من خلال تقديمه لتصوّر جديد عن الإنسان والحضارة، يختلف بتاتا عن التّصوّر الغربي، بالإضافة إلى سعيه لتأسيس فكر مفعم بالإنسانيّة، وينبض بالقيم الأخلاقيّة، وعبّر على ذلك برفض النّظرة الأحاديّة وسياسة الاستعلاء الّتي تعاني منها الحضارات اللاّغربيّة.كما تكمن أهمّية هذا البحث في: تعلّم كيفيّة الإقناع والتّأثير على النّفوس والقلوب.ناهيك عن الاستفادة من المنهج القرآني والنّبوي في محاورة المخالفين.

أوّلا: مفهوم حوار الأديان عند غارودي:

لقد صار غارودي واحدا من دعاة حوار الأديان السّماويّة ووحدتها مع إيمانه بأنّ الإسلام هو دين المستقبل، وهو عنوان كتاب لما قال فيه: "أظهر الإسلام شموليّة كبرى في استيعابه لسائر الشّعوب ذات الدّيّانات المختلفة، فقد كان أكثر الأديان شموليّة في استقباله للنّاس الّذين يؤمنون بالتّوحيد، وكان في قبوله لأتباع هذه الدّيّانات في داره، منفتحا على ثقافاتهم وحضاراتهم"[1]

[1] روجيه غارودي: الإسلام دين المستقبل، تر: عبد المجيد بارودي، دار الإيمان، بيروت، دط، 1983م، ص45.

إنّ الشّريعة هي ما يجمع بين هذه الأديان، فهي القانون الإلهي الّذي يوحّد كل المؤمنين، حيث يرى أنّ اللّه قد شرع لنا طريقا واحدا إليه، وجعل لكل أمّة طريقة تصل بها إلى اللّه، فتجمّع الأديان الثّلاثة على وحدانيّة اللّه .فهناك شريعة واحدة، تختلف في استخلاص التّشريعات منها، حسب الدّيانة الّتي ننتمي إليها، وقد توصّل غارودي إلى هذه النّقطة من خلال قوله تعالى: " ثمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا"[1]، ومن قوله تعالى: " لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[2].

اللّه ليس هو اللّه في ذاته، فالمخلوق وحده اختار إلها، واللّه يتجلّى في كلّ فعل خلاّق، فالمرء لا يتأكّد من اللّه، إنّما البرهان الوحيد عليه، هو إنجاز، هو إكمال حضوره، أي أن نجعل جليا بأنّه يخلق فينا: "بمعرفتنا له، نعطيه وجوده" على حد قول ابن عربي.فأنا أغذّي اللّه بوجودي، ولكن وجودي مولود بفعله، كالمحب يعمل على إيجاد المحبوب، إذ ليس من الممكن البرهان على وجود إلاه لا تكون له صلة بذلك الّذي هو إلاه له.

فمحمّد عليه الصّلاة والسّلام، لم يعتبر الإسلام كدين خاص، ولكن على أنّه العقيدة الأصليّة، عقيدة إبراهيم الّذي لم يكن لا يهوديا ولا مسيحيا، ولا مسلما، وإنّما النّموذج الأمثل للإنسان وللعقيدة.[3]

يعني أنّ كل شيء لا يمكن أن يرى بتمامه وبكامل رؤيته إلاّ في اللّه، وأنّ اللّه موجود وحاضر في كل شيء، وهذا التّوحيد الأساسي، الّذي ليس من نسق الحدث بل الخلق، وليس من نسق الوجود أو الفكر ولكن من نسق العمل، وهو ما يشكّل الانطلاقة الأولى للإنسان بأنّه"لا إله إلاّ اللّه"[4]

فبعد قرن على وفاة النبي، كان هذا القصد الكبير (العقيدة الأساسيّة في التّوحيد وتنزيه اللّه والشّريعة الّتي تنتج عنها لكل مجتمع إنساني لا يتحدّد فقط بإرادة القوّة وحدها وبالنّمو)يبدو أنّه لابدّ من وصوله إلى غايته: تحقيق أمّة عالميّة، موحدة بنفس العقيدة، مرحّبة بالدّخول في العقيدة وبثقافة الجميع، سواء أكان المقصود من ذرّية إبراهيم من عظماء الأنبياء كموسى وعيسى ومحمّد أو من حكم الهندوسيّة كبوذا أو المزدكيّين.

---

[1] سورة الجاثية، الآية: 18.

[2] سورة المائدة، الآية: 48.

[3] ر.غارودي: وعود الإسلام، تر: د.ذوقان قرقوط، دار الرّقي، بيروت، ط2، 1985م، ص136.

[4] عبد الوهاب المسيري: رحابة الإنسانيّة والإيمان، دار الشّروق، القاهرة مصر، ط1، 2012، ص186.

ويذكر غارودي في هذا الصّدد ابن عربي الّذي عبّر عن هذا الأمل في الإنسان، تعبيرا كاملا بكل أبعاده، ولمّا كان يرى في آدم النّبي الأوّل أي أنّه جاعلا من النبوّة بعدا أساسيا في الإنسان فإنّه دمج في كتابه فصوص الحكم جميع أولئك الّذين قدّموا شيئا جديدا لمصير البشر وعملوا على تعظيم البشريّة.[1] فالأهم ليس ما يقوله الإنسان عن عقيدته بل ما تفعله هذه العقيدة في هذا الإنسان، وما تدفعه إلى إنجازه من أعمال، في هذا المعنى يقول ابن عربي:

لقد صارَ قلبي قابِلا كُلَّ صورةٍ فمرعًى لغزلانٍ وَديْرٌ لرُهبانِ
وبيتٌ لِأَوثانٍ وكعبةُ طائِف وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قُرآنِ
أَدينُ بدينِ الحُبِّ أَنّى تَوجَّهَتْ ركائِبُهُ فالحُبُّ ديني وَإِيماني[2]

في هذه الأبيات الثّلاثة يتكلّم ابن عربي عن قلبه الّذي امتلأ بكلّ صورة، أي بكل الصّور الّتي وجدت لها مكانا هادئا ومحبا في عقله وروحه، ويتمثّل هذا الامتلاء بالصّور العديدة والمتنوّعة الّتي ألّف بينها في اتّحاد متكامل، متوافق ومنسجم في ألوانه، وأعني هنا في مبادئه وعقائده وآرائه ووجهات نظره، والحق أنّ الصّورة الموحّدة-وهي رمز لتوحيد جميع الصّور-تتمثّل في"دين الحب"الّذي يتألّق بإيمان حقيقي، لا أثر فيه للتّعصّب أو للتّحيّز أو للكراهيّة، أو لضيق الأفق الفكري أو للاعتقاد الزّائف بامتلاك الحقيقة المطلقة، وحرمان الصّور الفكريّة أو الرّوحيّة أو العقائديّة الأخرى من معناها وقيمتها وحقيقتها.تتألّف الوحدة الجامعة لهذه الصّور في دين الحب والمحبّة من:

أ. مرعى لغزلان: القوّة أو الطّاقة الكامنة، أو الحياة الفاعلة في الطّبيعة، أو الرّوح المحيية لكل مادّة.

ب. دير لرهبان: الرّمز الّذي يشير إلى المسيحيّة.

ج. بيت لأوثان: الاعتراف بالوثنيّة، الّتي أدينت أو اتّهمت بالشّرك أم بإعلاء شأن الفكر الفلسفي أو الأسطوري، والإقرار بأنّها لا تخرج عن نطاق الحقيقة الرّوحيّة والإلهية.

د. كعبة طائف: الكعبة أو المحجّة الّتي يطوف حولها الإنسان السّاعي إلى الاستنارة، ويبحث عن الحقيقة، تماما كما تسعى الفراشة إلى البحث عن مصدر الضّوء الّذي تدور حوله، وينطبق هذا القول على كل إنسان مستنير.

[1] ر.غارودي: وعود الإسلام، المصدر السّابق، ص139، 140.
[2] محي الدّين ابن عربي: ترجمان الأشواق، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 2005م، ص62.

هـ. ألواح توراة: الألواح الحقيقيّة المحفوظة الّتي تعتبر الرّمز المشير إلى السّر المكنون في الصّوفيّة العرفانيّة المنسوبة إلى موسى، ويعتقد أنّ هذه الصّوفيّة العرفانيّة السّرّانيّةّ قد انتهت بانكسار لوحي النّاموس اللّذين أوحي بمضمونهما إلى موسى يوم كان يتأمّل على قمّة الجبل.

و. مصحف قرآن: القرآن الكريم الّذي أمدّه بالقدرة والوعي والإيمان لمعرفة الحكمة المكنونة فيه.

وبهذا فقد أسقط ابن عربي التّعصّب وضيق الأفق الفكري والتّنكّر للآخر، وبرهن أنّ جميع المبادئ والعقائد تمثّلت الحقيقة الواحدة في تنوّعات التّعبير.لقد اعترف ابن عربي ب"الآخر"وآمن بمبدأ التّنوّع الّذي جعلته الحقيقة السّاميّة مبدأ طبيعيا وإنسانيا وكونيا. "إنّ هذا الانفتاح لتقبّل كل شيء، وهذا التّقبّل للتّدفّق الجديد من كافّة الأديان الّتي ينظر إلى كل واحد منها كمرحلة في الملحمة الإنسانيّة، في الخلق المستمر للإنسان من قبل اللّه السّاكن فيه...وعليه لابدّ إذن من أن تترابط من جديد فلسفاتنا، والّتي غدت فلسفات موت الإنسان واللّه، وتستأنف سيرة تاريخها الحقيقي انطلاقا من ابن عربي ضد جميع المتمسّكين بالحرفيّة وجميع التّكنوقراطيين المتضامنين بسهولة من شبه الجزيرة العربيّة إلى شبه الجزيرة الأوروبّية.فإنّ بعث هذه الفلسفات لهو على هذا المستوى من القيمة والتّقدير، ولسوف يكون بعثها على هذا النّحو ثروة من أعظم ثروات التّراث الإسلامي."[1]

أنشأ العرب، في ميدان العلوم والفنون والصّوفيّة، حضارة ازدهرت في الأندلس في إسبانيا لدرجة أنّها في ساعة انحطاطها، أي في الاستيلاء على قرطبة في القرن الثالث عشر، عملت على إيجاد ظروف نهضة قامت مع الإيمان باللّه، ولم تبدأ هذه النّهضة في إيطاليا إلاّ بعد مرور ثلاثة قرون على ذلك، لكنّها قامت ضد الإيمان باللّه، أي أنّها قرّبت العلوم والتّقنيات، وأبعدت الحكمة والإيمان أكثر فأكثر"[2]. وعليه وحسب غارودي لا بدّ من ربط العلوم والحكمة-التّأمّل حول الأهداف-بالإيمان.

[1] ر.غارودي: وعود الإسلام، المصدر السّابق، ص142.

[2] غارودي روجيه: هذه وصيّتي للقرن 21: حوارات مع وقائع جلسات محاكمة غارودي/حوارات غارودي، تح: شاكر نوري، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط1، بيروت، 2007م، ص102.

يذكر غارودي أيضا، الشّاعر"كير"ذي اللّغة الأورديّة، الّذي كتب في القرن الخامس عشر:

"يا إنسان الإيمان، أين تبحث عنّي؟
أنا قريب منك جد قريب.
ما أنا في المعبد ولا في المسجد.
ما أنا في شعائرك واحتفالاتك..
إن كنت حقا تبحث عنّي
فأنت قد وجدتني فور أن بحثت"[1].

فمن أراد أن يحس بتلك الهزّة في الأرض والسّماء، فما به حاجة للذّهاب إلى الكنيسة، أو المسجد...

و يذكر أيضا في هذا الصّدد غارودي ذلك اليسوعي، وإسمه""كي دولوري"الّذي أعلن، بعد أن سلخ زمنا طويلا وهو يعيش تجربة"الهند"بصورة إنسانيّة ودينيّة، أعلن أنّه تعلّم"الانسلاخ، في مسيحيّته، عمّا يرجع إلى ثقافته الغربيّة، دون الانسلاخ عن الإنجيل"ويضيف في خاتمة كتابه المذهل"تجدّد الولادة في الهند": "لقد جهدت لأنتزع من نفسي كل رغبة في الهداية، فما دمت مسيحيا فإنّ عليّ أن أصبح مسيحيّا حقا.وقد اضطرّني أخي الهندي إلى الاهتداء.أو ليس جوهر المسيحيّة هو هذا المطلب؟...إنّ أخي الهندي غني بثلاثة آلاف سنة من البحث والإجابة، وأنا، إلى جانبه، أسير حاملا ثلاثة آلاف سنة من البحث الغربي والإجابة الغربيّة.إنّكم كلّما أصبحتم أنفسكم وكثر اختلافكم غنى ازدادت صداقتنا غنى خصبا..."[2]

لقد كتب" غاندي"من قبل: "إذا جاءني مسيحي وقال لي بأنّه تحمّس عند قراءة (بغافاد-جيتا) وأنّه يريد أن يعتنق الهندوسيّة، أجبت: أنّ الإنجيل يستطيع أن يمدّك تماما بما يمدّك به (بغافاد-جيتا).ولكنّك لم تحاول أن تكتشف ذلك حقا.قم بهذا الجهد وكن مسيحيا حقا"[3]

---

[1] غارودي روجيه: الإرهاب الغربي، تر: سلمان حرفوش، دار كنعان، دمشق، ط 1، 2007م.، ص49.
ر.غارودي: في سبيل حوار الحضارات، تعريب: د: عادل العوا، عويدات للنّشر والطّباعة، بيروت-لبنان، ط4، 1999م، ص221-222.
[2]
[3] المصدر نفسه، ص222.

ذالكم هو روح حوار الأديان الحقيقي الّذي يسعى غارودي إلى المضي به قدما في مشروعه.إنّه سيكون إناء إنسانيّا عميقا لكل واحد منّا، لأنّه يطلب من كل واحد "اهتداء عميقا"داخل ثقافته وعقيدته الخاصّة.

وعلى هذا النّحو تبدأ مرحلة جديدة، يسعى"يسوع"في تجاوز"شعب مختار"ليذهب إلى الجميع، ولا يذهب من أجل"هديهم"إلى عقيدة، بل من أجل إيقاظهم على حياة أفضل.

لقد بيّن يسوع لنا ما تكون الإنسانيّة الكاملة، إنّه المحور الّذي ما تزال دروبنا المتبدّلة تضطرب وتتموج من حوله، "والرّسالة الّتي أبلغها محمّد عليه أفضل الصّلاة والسّلام لأهل مكّة قريبة من رسالة يسوع في الأناجيل، فهو يكشف لنا، وكذلك تعاليمه، ما يجب أن تكون عليه الحياة الشّخصيّة للإنسان الكلّي"[1]، أي للإنسان الّذي تعمر نفسه باللّه.

وإنّها لتجربة تاريخيّة فريدة: "فكيف يمكن ضبط النّفس والمحافظة عليها من خلال الإخلاص لتعليم يسوع لمن أصبح يتحمّل مسؤوليّة شعب ودولة؟ألا فإنّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام بدأ بتعميم الرّسالة لتشمل البشريّة جمعاء: إذ قضى بتكريم جميع الأنبياء السّابقين الّذين أرسلهم اللّه.وجعل يسوع فوق جميع الأنبياء بولادته الخارقة من البتول، وسلّم عليه باسم"المسيح"، ليس بالمعنى العبراني لملك الشّعب المختار، وإنّما باسم ذلك الّذي يهدي إلى كيفيّة تحقيق مملكة الرّب"[2].

ثانيا: مبرّرات حوار الأديان:

قد بيّن المفكّر الفرنسي مدى انغلاق وتقوقع الغرب على ذاته، خصوصا في المعاهد الفرنسيّة الّتي تحرم الطّالب من الاطّلاع على ثقافات الهند والصّين وأفريقيا والإسلام، وأكّد أنّ هذا يخفي الجوهر الأساسي في أنّ ما اصطلح على تسميّته باسم الغرب، إنّما ولد في ما بين النّهرين، وفي مصر أي في آسيا وإفريقيا[3]

و يكشف غارودي عن الأسباب الّتي هي مؤشّرات للقضاء على البشريّة فيقول:

الاقتصاد يسيطر عليه النّمو المتمثّل في الرّغبة الجنونيّة في زيادة وسرعة الإنتاج: إنتاج أي شيء نافع أو غير نافع...ضار أو مميت...لا يهم.-

[1] غارودي روجيه: الإرهاب الغربي، المصدر السّابق، ص 41.

[2] المصدر نفسه، ص 41-42.

[3] ر.غارودي: في سبيل حوار الحضارات، المصدر السّابق، ص17.

السّيّاسة تحكمها علاقات اجتماعيّة داخليّة وخارجيّة يسودها العنف المعبّر عن صدام المصالح والنّزوع إلى السّيطرة بين الأفراد والطّبقات والأمم.-

الثّقافة عاريّة من المعنى والغاية، فالتّقنيّة للتّقنيّة، والعلم للعلم، والفن للفن، والحياة لغير هدف.-

العقيدة خاوية من التّعالي الّذي يمثّل البعد الإنساني للإنسان.[1]-

ففي نظر غارودي لا سبيل للخروج من هذه الحلقة المفرغة إلاّ بفتح الحوار مع الآخر، وهو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنّبه.وكل هذا مع الاستمداد من المنهج القرآني البديل الّذي انبهر به غارودي واتّخذه مسلكا، فالقرآن الكريم"كتاب حوار فهو الّذي يجب أن ندرسه دراسة واعيّة، لنجد فيه الوثيقة الرّائعة من وثائق الحوار الدّيني الّذي يتعلّق بكل قضايا العقيدة ابتداء من فكرة وجود اللّه، ووحدانيّته، إلى الأحكام الشّرعيّة"[2]

ففي" الإسلام جميع الفنون تؤدّي إلى المسجد، والمسجد يحمل الصّلاة، إن الجامع الّذي تكاد حجارته نفسها تصلّي، مركز إشعاع لجميع فعاليّات الأمّة الإسلاميّة وهو نقطة الالتقاء لجميع الفنون...ويستجيب الجامع بطبيعة بنيته نفسها لوظيفته فهو لا يشبه الكنيسة المسيحيّة، ولا المعبد اليوناني...إنّ الحيّز"الفارغ"هو أحد مميّزات الفن الإسلامي: ليس فحسب لا يأوي المحراب أي تمثال أو أيّة صورة ولكنّه يعني اللّه بهذا الفراغ نفسه من كل شيء: إنّ اللّه موجود، حاضر في كل مكان ولكنّه لا يرى في أي مكان[3]

وهذا هو السّبب الأساسي لاستبعاد الصّورة من الفن الدّيني: أمّا الأديان الأخرى فعلى العكس، إنّها تخلق محاور من الحقيقة الواقعة أكثر كثافة، أكثر تركيزا تجعل اللاّمرئي مرئيا سواء أكان كتلك الأقنعة الأفريقيّة، المكشّفة للطّاقة، أو كالأيقونة أو الصّليب لدى المسيحيين.

فما من نص في القرآن يجرّم الصّورة، إلاّ أنّ العقيدة في جوهرها الإسلامي تقتضي بألاّ يصرف تأمّل المؤمن قط عن الوحدة الإلهيّة وبأن يتجرّد من ظواهر الدّنيا...ليوجّه الفكر كلّه إلى الواحد الأحد، مساميا عن كل حقيقة جزئيّة، فالتّمسّك بالتّوحيد، لا يكن

[1] روجيه غارودي: لماذا أسلمت، دراسة: محمّد عثمان الخشت،، مكتبة القرآن للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط.ص48.
[2] محمّد حسين: الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، دار الملاك للطّباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط5، 1996م.، ص10.
[3] ر.غارودي: وعود الإسلام، المصدر السّابق، ص145-146.

التّعبير عنه وتوضيحه، من غير أي مجاز دنيوي، إلاّ بذلك الذي يعيد به الإدراك الفكر إلى الشّعور بحضور نظام رياضي وعقلاني في آن معا[1].

يدعو غارودي إلى التّعامل مع الآخر واكتشاف الذّات من خلاله، مؤكّدا ضرورة الجمع بين المعنوي والأدبي والتّقني، وعلى الدّور الّذي يناط بالأديان في هذا الأمر (أي إحداث تغيير في النّاس)حيث أنّ التّفاعل الحضاري لا يمكن أن يتم ويتحقّق إلاّ عن طريق حوار بنّاء وفعّال بين الأديان، حيث يقول عالم اللاّهوت الألماني قولته الشّهيرة: "لا حوار بين الحضارات بدون سلام، ولا سلام بدون حوار بين الأديان"[2]والهدف من هذا الحوار تحقيق العيش المشترك، في عالم يسع الجميع مهما كانوا متباينين على المستوى العقائدي والثّقافي والحضاري، حيث أنّ عمليّة التّفاعل مع الآخر لا تعني الذّوبان أو الانسلاخ من العقيدة الأصليّة، وإنّما التّفاعل يعني الاستعداد الكافي لتكوين حالة تثاقف أو تفاعل مع الجانب الحضاري الآخر.

إنّ الغاية من هذا الحوار في نظر غارودي هي بناء العلاقة بين الإيمان والتّاريخ، الإيمان والعالم، الإيمان الّذي يعطي الشّعوب القوّة والأمل في تغيير العالم والحياة.

ثالثا: فكرة الإيمان الحي في مشروع غارودي:

لقد اقتنع الكثير من المفكّرين بأهمّيّة الدّين في تشكيل الوعي الحضاري، على غرار المفكّر روجي غارودي الّذي قادته تأمّلاته وتجاربه الخاصّة، وقراءته لمختلف الأديان على تعميق الوعي لديه بأهمّيّة الإيمان، وقدرة الدّين على ذلك، باعتبار أنّ الدّين من المقوّمات الأساسيّة في بناء الحضارة، نظرا للأثر البالغ الّذي يتركه في حياة الفرد والمجتمع، حيث أنّ الحضارات تصنّف في الغالب على أساس الدّين، فيقال مثلا: حضارة إسلاميّة، حضارة مسيحيّة...وغيرها، ويقال حضارة ماديّة إذا كانت تفتقد إلى الأساس الدّيني وما يترتّب عنه من إهمال للقيم الرّوحيّة والأخلاقيّة، وبقدر ما يتغلغل الإيمان في حياة الفرد والمجتمع بقدر ما تكتسب هذه الحياة توازنها واستقرارها، والعكس من ذلك، فإنّ حياة بلا تعالي هي حياة بلا معنى، كما هو حال الإنسان المعاصر[3]الّذي يعاني من تمزّق نفسي بسبب الفراغ الرّوحي.إنّ الدّين الّذي يتكلّم عنه غارودي ويدعو إليه هو الدّين الحي

[1] ر.غارودي: وعود الإسلام، المصدر السّابق، ص146.

[2] مريم آيت أحمد: جدليّة الحوار قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر، الدّار البيضاء، مجلّة علوم التّربيّة، ط1، 2011، ص08.

[3] الشريف طاوطاو: الإنسان في فلسفة روجيه غارودي (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة قسنطينة، 2010م، ص496.

الّذي يساهم في حل مشكلات هذا الإنسان في أي عصر كان، ويوجّهه نحو بناء مستقبل ذو بعد إنساني.يقول في هذا الصّدد: "إنّ مشكلات الجوع، وعدم المساواة، واستغلال الإنسان والأرض، وعدم التّسامح، والحروب، والاستعمار الجديد، هي كلّها مشكلات دينيّة"[1]هذا الإيمان الّذي يدعو إليه غارودي يقوم على أساس التّسامح والحب وكل القيم الإنسانيّة، فهو إيمان يتعارض مع الأديان الّتي تعدّ ذريعة أو أداة لممارسة القهر والسّيطرة، وبالتّالي يجب أن تكون له مكانة مركزيّة في المجتمع.

إنّ الإخصاب المتبادل للثّقافات الّتي تمثّل مختلف الأديان، لهو ثراء لا يمكن التّنازل عنه من أجل أن نفرض على الآخر شكل التّعبير الّذي ورثناه نحن وثقافتنا.لا نستطيع مثلا أن نطالب باحتكار السّبل المؤدّية للتّعالي.سواء أطلقنا عليه اسم الخلاص أو التّحرّر أو النّارفانا.نستطيع فقط، ومع بالغ الاحترام لطقوس الآخرين، وللرّموز الّتي يعبّرون بها عن إيمانهم، أن نتزوّد بتجاربهم، لنصعد من سبل مختلفة إلى ذات القمّة الّتي ربّما تكون عصيّة على الوصول، حتّى تجعلنا نبحث عن معنى لحياتنا ولتاريخنا، وعن سبل إنجاز هذا المعنى.

بمعنى أنّ أكثر الأشياء قيمة، ليس ما يقوله إنسان ما عن إيمانه، ولكن ما يصنعه هذا الإيمان بهذا الإنسان، وإلى أي مدى يحرّره من اغترابه؟.أي يحرّره من طموحاته الشّخصيّة المتحقّقة عن طريق الإطاحة بالآخرين، ومن مشروعاته الجزئيّة الفرديّة أو القوميّة، الّتي لا تسعى إلى خلق جماعة عالميّة، كسيمفونيّة، أو كغاية نهائيّة ساميّة للإيمان.

ذلك الإيمان الّذي يدعو كل الأديان للتّعالي ولتجاوز الذّات.[2]

وانطلاقا من هذا فإنّ غارودي ينتقد بشدّة الدّيانة المسيحيّة، ويدعو إلى ضرورة إزالة النّزعة الأسطوريّة عمّا هو روحي[3]، وأبعد من ذلك، ينهي غارودي الأمر بشأن انحراف الفكر الإنساني: المفهوم القبلي لشعب اللّه المختار، الّذي يقسّم الإنسانيّة ما بين نخبة ومهمّشين، ويمنح الأوائل الحق الإلهي للسّيطرة، والاستعباد، أو حتّى قتل الآخرين، كما يضيف غارودي بأنّه يجب أن ننتهي أيضا من هذه القراءات المتطرّفة

[1] ر.غارودي: كيف نصنع المستقبل، تر: منى طلبة، أنور مغيث، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 1999م، ص266.
[2] ر.غارودي: كيف نصنع المستقبل، المصدر السّابق، ص 269، 270.
[3] المصدر نفسه، ص270.

للإنجيل والّتي تجعل منه الكتاب المقدّس الوحيد للإنسانيّة، في حين أنّ كل شعب في العالم، عاش فيما قبل التّاريخ إنسانيّته بإبداع الأساطير الكبرى الّتي تمهّد الطّريق عبر آلاف السّنين لتحقيق الإنسانيّة المقدّسة للإنسان.كل شعب من الشّعوب لديه تاريخ مقدّس، هو تاريخ الإنسان في بحثه عن اللّه.[1]

هذه الأفكار المصطنعة الّتي ليس لها أي أساس، ترتّبت عليها نتائج فائقة الخطورة، حيث صارت المسيحيّة من هذا المنظور ديانة تبرّر الاستعمار والاستعباد والاستبداد والفقر والظّلم والتّفاوت الطّبقي والاجتماعي، والتّميز العنصري...

وعليه فإنّ إنقاذ الحضارة حسب غارودي يقتضي منّا التّحوّل من الإيمان السّائد في الثّقافة الغربيّة القائم على العقل المجرّد، إلى الإيمان الحي الّذي يقوم على حضور اللّه فينا، في حياتنا اليوميّة بكل أبعادها وتجلّياتها، أي ما يسمّيه غارودي بتجربة التّعالي الّتي تقدّم لنا مفهوما صحيحا للحضارة، حيث يقول: "إنّني مقتنع بأنّ عالمنا تلزمه صياغة جديدة لقيم المقدّس، ويلزمه مفهوم جديد للدّين يتطابق تماما مع أصول العبادة والصّلاة، ولكن يعبّر عنه بشكل جديد ومختلف، بشكل يسمح لنا بالتّعرّف على وجودنا الخاص، وعلى وجود الآخرين أيضا بوصفهم مقدّسين، ويطلعنا على مسؤوليّة البعض إزاء البعض الآخر، ويكشف لنا عن قدرتنا على خلق عالم أكثر عدلا في ديننا الجديد هذا، سيكون على القادر والثّري والعالم مسؤوليّة وللفقراء حقوق، هذا هو الدّين والاقتصاد والنّظام الاجتماعي والحياة الخلاّقة للفنون والتّكنيك والتّعليم، كل هذا لن يكون إلاّ شيئا واحدا يهدي تفكيرنا وحركتنا"[2] بمعنى أنّ هذا الإيمان كفيل بتغيير واقعنا وتوجيهنا نحو تأسيس حضارة إنسانيّة، يستعيد من خلالها عالمنا المعنى الّذي افتقده في إطار النّموذج الحضاري الغربي.هذا الإيمان بالنسبة لغارودي يعبّر عن طاقة روحيّة فعّالة تحرّك الإنسان وتسمو به ليتجاوز من خلاله أنانيّته وفردانيته، فكل إيمان بلا فعل هو عبارة عن أساطير، وانطلاقا من هذا فإنّ غارودي يرى أنّ مسؤوليّة إنقاذ الحضارة الغربيّة المعاصرة من جهة، وتأسيس حضارة عالميّة ذات أبعاد إنسانيّة، تقع على الدّين وعليه فلا بدّ من الرّجوع إلى الإيمان لإعادة بناء الإنسان والحضارة[3]

[1] المصدر نفسه، ص270، 271.

[2] المصدر نفسه، ص266.

[3] ر.غارودي: كيف نصنع المستقبل، المصدر السّابق،، ص27.

فلكي يكون الإيمان خادما للإنسان ينبغي تغيير مفهوم العلم بدلا من العلم القائم على الفعل الأدائي، ينبغي الرّجوع إلى الحكمة الّتي تبحث في الغايات والّتي أساسها الإيمان.
إذن ومن خلال ما سبق يكون قد اتّضح لنا أنّ التّعالي عند غارودي أو الإيمان له بعد إنساني أكثر ممّا يرتبط بالغيب على نحو ما نجده في التّصوّرات الكلاسيكيّة للدّي

خاتمة:

يتبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ الحوار عند غارودي ينطلق من الاعتراف بالاختلاف، فالأمر واضح لا لبس فيه، ونقطة الانطلاق نقديّة، تفكيكيّة تركيبيّة، أخلاقيّة إنسانيّة، ترفض العنصريّة في كل أشكالها، فلا يوجد شعب مختار وشعوب منبوذة.ومن وجهة نظر إسلاميّة، لم يختر اللّه شعبا بعينه، وإنّما اختار كائنا بعينه وكرّمه وهو الإنسان.وحجّة الوداع، آخر خطب الرّسول الكريم، ليست موجّهة للمسلمين فقط وإنّما لكل النّاس[1].ويشير غارودي في وعود الإسلام على قول اللّه تعالى: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[2]. بمعنى يجب الإيمان بمبدأ الاختلاف: فلا يمكن الدّخول في حوار إلاّ وكان كلا الطّرفان مختلفان، ومنه الاعتراف المتبادل (لا تعارف بلا اعتراف)، فلا حوار بدون الاعتراف بوجود وكيان الآخر، وبأهمّية دوره في البناء والتّغيير، بعيدا عن التّعصّب والكراهيّة، وربط الحوار بالجوانب المشتركة بين المجتمع الإنساني.أي الهدف الإنساني المشترك.

كما ونجد أنّ فكره ومشروعه الحضاري جاء ليتدارك ما غفل عنه الغرب من بعد إنساني، سببه هذا التّجاوز من مشاكل وآلام جعلت الفرد الغربي خاصّة والعالمي بصفة عامّة يعاني من أزمات حادّة شغلته وألهته عن أداء دوره الحضاري ومسؤوليته الإيتيقيّة إزاء وطنه ومجتمعه وأمّته.ففي أزمة الغايات-أو بالأحرى في هذا الغياب غياب الغاية الإنسانيّة والإلهية-يمكن للإسلام أن يقدّم إلى العالم، ما ينقص هذا العالم، وهو نقص مميت، نعم: يمكن أن يقدّم له معنى الحياة.

فبعد أن تنقّل غارودي بين كثير من الدّيانات والمعتقدات، استقرّ على دين الإسلام، هذا الأخير الّذي وصل إليه بعد رحلة بحث وتحرّي، وبعد مدّة طويلة من ممارسة عمليّة النّقد والتّقييم لكثير من الأديان والإيديولوجيات وما احتوت عليه من أفكار.

[1] المسيري عبد الوهاب: رحابة الإنسانيّة والإيمان، المصدر السّابق، ص196.
[2] القرآن الكريم: سورة الحجرات، الآية: 13.

فمن الإلحاد إلى المسيحيّة البروتستانتيّة مرورا بالشّيوعيّة الماركسيّة وصولا إلى الإسلام، ويقول عن كيفيّة انتمائه وإيمانه بهذا الدّين: "أحبّ أن أقول أنّ انتمائي للإسلام لم يأت بمحض الصّدفة، بل جاء بعد رحلة عناء وبحث ورحلة طويلة تخلّلتها منعطفات كثيرة، حتّى وصلت إلى مرحلة اليقين الكامل والخلود إلى العقيدة أو الدّيانة الّتي تمثّل الاستقرار، والإسلام في نظري هو الاستقرار".[1] بمعنى أنّ دخوله في الإسلام لم يكن اعتباطيّا بل وصل إليه من خلال التّأمّل والتّدبّر والتّمعّن، بل وصل إلى اعتقاد أنّ الإسلام هو الاستقرار بالنّسبة إليه.

إنّه دين يحفظ قدسيّة الإنسان، كما ويحمي العديد من القيم الأخلاقيّة الّتي يفتقدها العالم اليوم بالأخص العالم الغربي. إنّ أكبر عائد قدّمه الإسلام للبشريّة جمعاء وبالتّحديد من اتّخذه منهج حياة، هو إضفاء البعد الإنساني على كل مجالات الحياة السّياسيّة والاقتصادية والاجتماعية والتّربويّة، مثلما تقدّم معنا في الفصل الثّالث من البحث.

الإسلام دين التّوحيد، ففي حين أنّ عالمنا: عالم المنافسة، والنّمو الكمّي والعنف، تبدو فيه الأحداث حصيلة القوى العمياء المتصارعة، ويعلّمنا القرآن الكريم النّظر إلى الكون والبشر على أنّهما كلّ واحد، ويعلّمنا اللّه تعالى أن نرى في كلّ شيء وفي كلّ حدث آية من آيات اللّه، رمزا لحقيقة أسمى هي حقيقة النّظام الواحد للطّبيعة والمجتمع ولأنفسنا، فكلّ شيء في العالم خاضع لإرادة اللّه، فالحجر في سقوطه، والنّبات في نموّه، والحيوان في غرائزه، كلّها خاضعة، غير أنّ هذا الخضوع لا ينبع من إرادتها، فهي لا تستطيع الإفلات من القوانين الّتي تحكمها.

لقد تبصّر غارودي الحلول النّهائيّة لمشاكل الإنسان، والمراهم الشّافيّة للأمراض الّتي فتكت به في عقيدة توحيديّة هي الإسلام، بداية من اللاّهدف الّذي جعل الإنسان لا يدرك غاية وجوده ممّا ترتّب عنه العشوائيّة في أفعاله وتصرّفاته، لأنّه تخلّى عن الإيمان بفكرة وجود اللّه، وهذا الكلام يقتصر على كل ملحد يائس من الحياة، "فهذا الوحي بالوحدة الإلهية (التّوحيد) الّذي يعطي لكل حياة ولكل شيء معنى بالنسبة لعلاقته بالكل، ليس توحيدا جامدا، توحيد الإيمان بإله واحد مجرّد" [2]، إضافة المعنى للحياة

[1] روجيه غارودي : لماذا أسلمت، المصدر السّابق، ص86.
[2] روجيه غارودي: وعود الإسلام، المصدر السّابق، ص32.

هذا ما أضافه الدّين لمعتنقيه، في ظل المادّيّة الّتي قضت على هذا الجانب وجعل أسمى معنى يعيشه المرء في ظل النّموذج الغربي هو النّمو من أجل النّمو ولا وجود لمعنى آخر غيره.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
1. المسيري عبد الوهاب: رحابة الإنسانيّة والإيمان، دار الشّروق، القاهرة مصر، ط1، 2012م.
2. غارودي روجيه: الإرهاب الغربي، تر: سليمان حرفوش، دار كنعان، دمشق، ط 1، 2007م.
3. غارودي روجيه: في سبيل حوار الحضارات، تعريب: د: عادل العوا، عويدات للنّشر والطّباعة، بيروت-لبنان، ط 4، 1999م.
4. غارودي روجيه: كيف نصنع المستقبل، تر: منى طلبة، أنور مغيث، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 1999م.
5. -آيت أحمد مريم: جدليّة الحوار قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلّة علوم التّربيّة، الدّار البيضاء ط1، 2011.
6. -حسين محمّد: الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، دار الملاك للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط5، 1996م.
7. -طاوطاو الشريف: الإنسان في فلسفة روجيه غارودي (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة قسنطينة، 2010م.
8. -غارودي روجيه: لماذا أسلمت، دراسة: محمّد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط.
9. -غارودي روجيه: هذه وصيّتي للقرن 21: حوارات مع وقائع جلسات محاكمة غارودي/حوارات غارودي، تح: شاكر نوري، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 2007م.
10. -غارودي روجيه: وعود الإسلام، تر: د.ذوقان قرقوط، دار الرّقي، بيروت، ط2، 1985م.